مجلة مقاربات | ISSN: *2335-1756*
مجلد: 06 عدد: 02 2020 | NDL/BNA/4949-2013

الترجمة الأدبية وأثرها في تطور النقد العربي الحديث

د/ حليمة عواج ، د/ حسين مبرك

- قسم اللغة والأدب العربي، جامعة باتنة 1، aouadjhalima@gmail.com
- قسم اللغة والأدب العربي، جامعة المسيلة، mabrakhocine@gmail.com

الملخص

تعتبر الترجمة فعلا حضاريا تتجلى فيه مظاهر التواصل والتلاقح بين أنماط فكرية متصلة بالنشاط الإنساني، وهي معرض للإفادة من التجارب الإنسانية، ومحاولة استيعابها، مع الإبقاء على روح النص في لغة المصدر، ومراعاة خصوصية اللغة الهدف، وتمثل الترجمة عملية عبور للمفاهيم والأفكار والقيم والتجارب بين اللغات، الأمر الذي يدل على تفاعل الثقافات وتلاقحها وتأثيرها وتأثرها المتبادل.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، المثاقفة، فعل حضاري، النص، التواصل.

Abstract:

Translation is a cultural act in which manifestations of communication and cross-fertilization are manifested between intellectual patterns related to human activity, and they are subject to benefiting from human experiences and trying to absorb them, while preserving the spirit of the text in the source language, and taking into account the specificity of the target language, and translation represents a process of crossing concepts, ideas, values and experiences Between languages, which indicates the interaction of cultures, cross-fertilization, their effect and their mutual influence.

Key words: translation, culture, civilization, text, communication.

MOKARABAT

المقدمة:

تعتبر الترجمة الأدبية ظاهرة ثقافية ذات أهمية كبرى، رغم ماتثيره من إشكالات وجدل، وماتطرحه من تساؤلات ذات صلة بتوازن الترجمات بين النصوص الأصلية والأجنبية، وقد واكب ظهور الترجمة الأدبية بروز جهود وإسهامات ترمي إلى تقويم الترجمات وفرزها وتصنيفها ، وتمييز الجيد من الرديء منها، وهو مايسمى بنقد الترجمة، على نحو مافعل" ميخائيل نعيمة" كتابه الغربال" حين تناول بالنقد ترجمات لمي زيادة، وثارت معارك نقدية كثيرة كانت الصحف والمجلات مسرحا ومنبرا لها، ومن ثم صح القول بأن نقد الترجمة الأدبية، هو جزء من النقد الأدبي الحديث في البلاد العربية.

أثر الترجمة الأدبية في تجديد الأدب المستقبل :

ظلّت الترجمة على امتداد التاريخ ملمحا بارزا للعلاقات بين الآداب القومية المختلفة، بل كانت بمثابة همزة وصل، أو جسر، يتيح للشعوب والأجناس التعرف على آداب القوميات الأخرى، ومن ثم يسمح لها بتذوق آداب الشعوب الأخرى، والتعرف على خواصها وثقافاتها وتجاربها، الأمر الذي يكون له أثر إيجابي في تجديد الأدب المستقبل من الناحية الفنية والفكرية، في حين أن الأدب الذي يقصر أهله ويتقاعسون عن الترجمة، فسيشهد حالة انكفاء وانزواء وانغلاق، على نحو ماعاشه الأدب العربي من تقهقر وضعف إبَّان العهد العثماني المملوكي، حيث أصيب بالتقليد والجمود، وتأخر عن ركب الحضارة العالمية، إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية عصر النهضة، حيث جرت في أوصاله دماء التجديد، وهبت عليه رياحُ التغيير ونشطت حركة الترجمة التي اضطلعت باستيعاب آثار وأعمال أدبية أجنبية إلى العربية وباتت أبواب الثقافة العربية مشرعة أمام المؤثرات الأجنبية.

إن الأدب الذي تكون لغته لغة هدف، أي يترجم إليها، ولا يترجم عنها، هو أدب يتلقى ويتأثر ولا يؤثر، ويستقبل ولا يرسل، ويستهلك ولا ينتج، وينفعل ولا يكون فاعلا، وتابعا لا متبوعا، بحكم أنه لا يملك المقومات التي تسمح له ببناء علاقات متوازنة مع غيره من الآداب وهذا ما يلاحظ على مستوى العلاقات بين آداب الشعوب المتخلفة، التي تعاني من أزمات اقتصادية وثقافية واجتماعية، وبين آداب الأمم المتحضرة ذات النفوذ الاقتصادي والتأثير العلمي والثقافي، لذا فإن حركة الترجمة، هي جزء من العلاقات الثقافية الدولية. ولعل الطرف الأضعف في هذه المعادلة هو الذي يتحمل تبعات حالة الاختلال وعدم التوازن بين الطرفين، من خلال ما ينقل ويترجم من أعمال أدبية عن لغات شعوب العالم الثالث، في حين أن الأعمال الأدبية التي تترجم عن لغات الأمم المتحضرة الناهضة،

لها حضور قوي وحيوية وتأثير، ولما كان الأدب العربي يستقبل كما هائلا من الآثار المترجمة إليه من الآداب الغربية نجده في موقع المتلقي المستقبل، وهو ما انعكس سلبا على الأدب العربي والثقافة العربية بصفة عامة.

دور المثقف في تفعيل حركة الترجمة الأدبية :

وجب الاهتمام بحركة الترجمة الأدبية في البيئة العربية والارتقاء بها لتصبح قادرة على الاستجابة لحاجات المثقف العربي في تلقي الآداب الأجنبية، وتقديم الأدب العربي بصورة تضفي عليه طابع الحيوية والتجدد والتطور والتأثير في الآداب العالمية، لاسيما أن العالم قد تحول إلى قرية صغيرة.

ولعل من ثمار هذه الحركية، أن نشأ النقد الأدبي العربي الحديث، كنتيجة لعملية المثاقفة بين الثقافة العربية والثقافة الغربية" وهي مثاقفة بدأت في أواسط القرن التاسع عشر للميلاد، ولم تزل مستمرة إلى يومنا هذا"[1]، ولاشك أن هذه المثاقفة، قد تمت في ظروف وموازين غير متكافئة، لأنها جمعت بين طرفين متفاوتين قوة وضعفا، إنتاجا وعقما، طرف يملك كل أسباب القوة والفتوة والنهوض والتفوق في مجال العلم والثقافة والاقتصاد، وطرف آخر، في موقع العجز والضعف والهوان، عقيم يستهلك ولا ينتج، ويتأثر ولا يؤثر، ومن ثم فإن المتفوق الغالب، هو من يهيمن، ويؤثر ويرسل، في حين أن الثاني يكتفي بالتلقي، لأنه مغلوب والمغلوب – كما قيل – مولع بتقليد الغالب.." إلا أن تلك الثقافة، ومع كل ما يعتوها من خلل، لا تتم إلا وفقا لحاجات الثقافة المتلقية واهتماماتها واستعدادها للأخذ والاستيعاب ومن الخطأ أن نتصور أنها تتم بمعزل عن تلك الحاجات والاهتمامات، وبمنأى عن قانون العرض والطلب."[2].

ولعل جدلية الأخذ والعطاء التي توفرها عملية الترجمة، قد تؤخذ على أنها عملية غزو ثقافي يجتاح المجتمعات التي تكون في موقع ضعف، ولا تملك لنفسها الحصانة الفكرية والثقافية التي تتيح لها المناعة ضد كل أنواع الهيمنة والاختراق، غير أن المجتمعات التي تتلقى هذا الزخم من الآثار المترجمة عن المجتمعات الناهضة المبدعة، قد تجد نفسها قادرة على تمثل ما تتلقاه ومن ثم استيعاب وامتصاص تلك المؤثرات الأجنبية " فتوصل بعضه وتحوله إلى مكون عضوي من مكونات نسيجها الثقافي الجديد، وتنبذ ما تبقى، لأنه لا يلبي حاجة ثقافية أصيلة"[3] ومن ثم تتحول هذه المثاقفة إلى ديناميكية وحركية وحيوية تسري في أوصال الآداب المستقبلة، ولهذا "يستحيل ضعفها إلى قوة، وفتورها إلى شدة، وتحجرها إلى تجدد وانغلاقها إلى انفتاح."[4]

خصوصية الترجمة الأدبية:

تشمل الترجمة الأدبية "ترجمة الأدب بفروعه المختلفة، أو ما نطلق عليه الأنواع الأدبية المختلفة مثل الشعر والقصة والمسرح وما إليها"[5] ومن ثم ينبغي للمترجم الأدبي أن يلم بشروط عديدة، حتى يضمن نجاح عمله، إذ يتوجب عليه "الإلمام بالمبادئ الأولى للفنون البصرية والسمعية، مثل توافق الأشكال والألوان أو تفاوتها وتناقضها ومغزى الاتساق الصوتي في المخارج والإيقاعات، والحس الموسيقي بصفة عامة، ومغزى التكرار وأنواعه وألوانه ودلالات المجاز والكناية والأمثال الشعبية والحكم التراثية والقيم الدينية والعادات الاجتماعية التي تؤثر في مدى تذوق السامع أو القارئ لقصيدة أو لقصة ما"[6] ولعل من المصاعب التي يواجهها مترجم الأدب، ترجمة التراكيب والصور البلاغية، أو ما يسمى بالحيل البلاغية، المتمثلة في المجاز، والغريب من اللغة، ولكي تحقق الترجمة الأدبية "لابد من وجود رابط بين المؤلف والمترجم، وبدونها تفقد الترجمة إحدى أهم مكوناتها الجمالية، وتغدو عملية إعادة كتابة لنص في لغة أخرى"[7]، لذا وجب أن تراعى في الترجمة الأدبية الجودة والوفاء بالغرض، ومعرفة اللغة، والقدرة على التحكم في التراكيب والأساليب وحيازة ثقافة نوعية.

ولا يخفى على عاقل واع ما للترجمة من أهمية ودور كبير في حياتنا الثقافية العربية المعاصرة بل باتت مكونا أساسيا من مكونات حياتنا الثقافية، بحيث "لا يغالي المرء إذا قال إننا نعيش عصر الترجمة."[8]

ومن ثم فهي إنجاز عظيم ومكسب حضاري ورافد حيوي من روافد الثقافة العالمية، ومصدر من مصادر ثرائها وغناها، ومنه فلا غضاضة في الإفادة من هذا الرافد والانفتاح على قنواته من قبل الثقافة العربية، وإقامة جسور بينها وبين الثقافات الأخرى، بما يسهم في تطوير أدبنا وثقافتنا، والنهوض بمجتمعنا، من خلال ترجمة تلك النماذج والأعمال العالمية الفذة إلى العربية، أمثال: شكسبير، وهيجو، وغوته، ودستويفسكي، وتولستوي وبريخت، وموليير، وفولتير، وكبار الفلاسفة، أمثال أرسطو، وهيغل، وهوبز، وكانط ونيتشه. بل لا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا الدور الذي لعبته الترجمة بصفة عامة في تجديد الثقافة العربية وآدابها، خلال العصر العباسي، وفي عصر النهضة، حين استوعبنا ثقافات وآداب غيرنا من الأمم، كالفرس والهند واليونان، وقد أفادت العربية في عصر النهضة من روافد الترجمة، واحتضنت أعمالا رائدة في الفكر والعلم، مما يؤكد على أن تطور الثقافة العربية وازدهارها، كثيرا ما ارتبط بنشاط حركة الترجمة، سواء كانت لغة هدف يترجم إليها، أو لغة مصدر يترجم عنها ، وهو شاهد قوي على أن الترجمة هي قناة أساسية للتواصل والتبادل الثقافي بين

الأمم، بل هي مؤشر لتقدم مجتمع ما، أو تأخره، وهو ما أشارت إليه المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم" يونسكو" بتأكيدها على أن أولى اللغات التي يترجم إليها هي الألمانية والإنجليزية والفرنسية والإسبانية واليابانية..

ومع ذلك ظلت تطرح كثير من التساؤلات، منها: هل من مصلحة الثقافة العربية أن تترجم تيارات فكرية غربية كالوجودية والإلحادية والفوضوية...؟ للإجابة عن ذلك كله، لابد من الإشارة إلى أن الترجمة نشاط ثقافي إنساني فاعل، بالنظر إلى التعددية اللغوية الثقافية التي تحكم العالم، وما تتوفر عليه كل لغة من ثروة أدبية وفكرية وعلمية، يغترف منها القراء والمثقفون، وهو ما يستوجب تفعيل الترجمة بين اللغات، طالما أنها قناة أساسية للتواصل بين الأمم والتبادل الثقافي، ومن غير الترجمة لابد من التحكم في هذه اللغات الأجنبية الرئيسية في العالم، التي يبلغ عددها المائة، وكذا الاطلاع على الثقافات الأجنبية مباشرة دون ترجمة، سيما أن تعلم اللغات والآداب الأجنبية قد حقق قفزات هائلة، ومع ذلك تبقى مشكلة الحواجز اللغوية قائمة، وعليه فأن التواصل الثقافي مرتبط أساسا بالترجمة، لذلك فأنكل زهد في عملية الترجمة، يعني تأخرا على مستوى التواصل الثقافي، من شأنه حرمان المجتمع من فرصة الاطلاع على الثقافات الأخرى، والتأخر عن الركب الحضاري، شريطة أن تستوفي هذه الترجمة عوامل وشروط نجاحها، من حيث الدقة والجودة، على مستوى الأسلوب واللغة والمعنى، ذلك أن الترجمة الرديئة لبعض الأعمال والمؤلفات الأدبية والفكرية والعلمية، يؤثر سلبا عليها، بتشويهها وتقزيمها، لتصبح عامل تمييع وتمويه، لا عامل إغناء وإثراء" وتكبر هذه الإشكالية في حالة الترجمة الأدبية، وذلك لأن الأثر الأدبي نص لغوي جميل، يحقق تأثيره الجمالي والفكري من خلال موضوعه أو محتواه، فإذا كانت نوعية الترجمة غير جيدة، فأن العمل الأدبي يفقد أدبيته، وبالتالي تأثيره وقيمته."[9]

وهذه الترجمة الرديئة تفسد الأعمال الأصلية، مثلما تسيئ إلى الأعمال في نسختها الأصلية، حيث "تحرم الترجمات الرديئة الثقافة العربية من فرص التفاعل والتواصل الناتج مع الثقافات الأجنبية، وتقضي على الدور التجديدي الهام الذي تمارسه الترجمة"[10] لذلك فالمتطفلون على الترجمة والدخلاء عليها، لا يتحكمون في آلياتها وأدواتها، لأنهم لا يملكون كفاءة لغوية وثقافية تؤهلهم للترجمة الجيدة، وهؤلاء هم من أساء إلى حركة الترجمة، وقوض دورها الفكري والثقافي، لذلك فالسؤال الذي ينبغي طرحه هو: كيف نترجم؟ ...لأن العبرة بكيفية الترجمة ونوعيتها، على مستوى الجودة والدقة، ومن ثم ارتبطت الترجمة عامة باللغة، وعدها كثير من المنظرين أنها وليدة زخم اللسانيات، بوصفها ثمرة

للمقاربات والمقابلات بين اللغات بحثا عن الأصل، وهي لذلك حقل لغوي وبعد لساني، فلا غرابة أن كان لها حضور في الاقتصاد والأدب والفنون والفكر والسياسة، وأصبحت علما مستقلا قائما بذاته، هو علم الترجمة، الذي تحكمه قواعد وضوابط، ونظريات، بالإضافة إلى صلته بعلم القراءات وعلم الصَّوتيات، ناهيك عن كونه فعلا لغويا وممارسة لسانية، أسهمت بقسط وافر في تطور المعرفة الإنسانية.

وتبقى الترجمة الأدبية من أصعب أنواع الترجمة، بحكم أن المترجم في هذا النوع يتعامل مع نصوص تطغى عليها عناصر التعبير الأدبي الإيحائي، وهو الأمر الذي يتطلب من المترجم التعبير عنها بطريقة فنية بديعة، مع مراعاة البعد الجمالي لهذه النصوص المترجمة، التي تهدف إلى تحقيق المتعة والإثارة، كما تتطلب هذه الترجمة الإحاطة بالفنون البصرية والسمعية، كاتساق الألوان والأشكال، والاتساق الصرفي والإيقاع "والحس الموسيقي والتكرار والتجانس، والمجاز والكناية، والأمثال الشعبية، والحكم التراثية، والقيم الدينية والعادات الاجتماعية التي تؤثر في مدى تذوق السامع أو القارئ لقصيدة، أو لقصة ما"[11]،وتظل الترجمة الأدبية مرآة تعكس الواقع، وتصوره، وهو مايفرض ضرورة مراعاة المترجم للظروف والملابسات التي تحيط بالنص الأدبي، أما "النصوص العلمية والتقنية، فهي تنتسب إلى الخطاب الهادف إلى التحليل أو الوصف، نصوص مفعمة بالموضوعية، وهي بذلك لا تترك إلا حيزا ضئيلا لأصحابها كي يبرزوا ذواتهم، من خلالها، لأن الأولوية فيها تعطى للظاهرة ومقاربتها العلمية"[12]

مسارات الترجمة الأدبية:

إن الترجمة في ثقافتنا العربية ينبغي أن تأخذ مسارين مسار يتجه من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، أي التعريب، ومسار يتجه من اللغة العربية إلى اللغات الأجنبية، أي التعجيم، ومن مصلحة الثقافة وآدابها أن يترجم أكبر عدد من الأعمال والنصوص والآثار والمؤلفات العلمية والفكرية والأدبية، ومن خلال تنشيط حركة الترجمة التعجيمية "تستطيع الأمة العربية أن تقدم نفسها للعالم ثقافيا، ليتعرف العالم إلى واقعها الاجتماعي الحضاري وقضاياها"[13] سيما أن العرب يعانون منذ زمن من أزمات ومشاكل داخلية وخارجية، ترتبط بوجودهم وكيانهم وثقافتهم وحضارتهم وتاريخهم، وما يتعرضون له من محاولات تستهدف استنزاف طاقاتهم وقواهم وإخضاعهم وطمس معالم ثقافتهم وتشويه تاريخهم وتراثهم، لإضعافهم وإبقائهم في دائرة التبعية والتخلف، وحين زهد العرب في هذا النوع من الترجمة للأجانب، انبرى المستشرقون للاضطلاع بهذا الدور، ولولا" الجهود الترجمية التي بذلها المستشرقون

ما عرف العالم شيئا من إنجازاتنا الثقافية"[14]، لذلك ظلت الترجمة بمساريها التعريبي والتعجيمي، هي إحدى القضايا الأساسية المركزية للثقافة العربية المعاصرة، ومن ثم وجب أن نفعل دور الترجمة في الثقافة العربية حتى تصبح عامل تنمية ونهضة ثقافية، لا أن تكون عامل تشتيت وغزو ثقافي، ولاشك أن العلاقات الأدبية السائدة اليوم لا تكاد تنفصل عن بنى الهيمنة والتبعية التي تحكم العلاقات الثقافية بين القوى الكبرى من جهة، ودول العالم الثالث من جهة ثانية، باعتبار أن العلاقات الأدبية هي جزء من العلاقات الثقافية، ففي الوقت الذي نجد فيه كليات الآداب في الجامعات العربية تخصص أقساما لدراسة الأدب الإنجليزي والأدب الفرنسي والأدب الألماني والأدب الروسي، وهي "أقسام مكتظة يدرس في كل منها آلاف الطلاب"[15]، في حين أن الجامعات الأوربية والغربية، تدرس الأدب العربي على نطاق محدود، وهو ضرب من التبعية الثقافية.

غير أن نقل الأعمال العربية إلى اللغات الأجنبية، هو باب له مشكلاته، شأنه في ذلك شأن كل ترجمة أدبية، إذ كلما كان العمل الأدبي عظيما، كلما كان عصيا على الترجمة ومن ثم فإن ما يعرف بالتكافؤ المطلق في الترجمة الأدبية، هو أمر صعب المنال، إن لم يكن مستحيلا لذلك أخذ علماء الترجمة يستعيضون عنه بمفهوم التعادل النسبي، أو التقارب، ورغم ما يمكن أن يشوب عملية الترجمة من عيوب وشوائب، إلا أنها تظل السبيل الوحيد الذي يتيح للمتلقين الذين لا يحسنون اللغة الأصلية للعمل الأدبي من تلقي ذلك العمل، ومن ثم فلا مناص من الترجمة.

أثر المثاقفة في تطور النقد الأدي العربي الحديث: لقد لعبت عملية المثاقفة الكبرى التي تمت بين الثقافة العربية والثقافة الأوروبية الغربية دورا بارزا في ظهور النقد الأدبي العربي الحديث، رغم أن هذه المثاقفة دارت بين بنى ضعيفة مهترئة عاجزة ومتخلفة علميا واقتصاديا وقوى متقدمة مزدهرة، وبالمحصلة فإن الثقافة المستقبلة ستتغذى بدماء جديدة، وتبث فيها ديناميكية وحيوية وانبعاثا، من حال الجمود والركود إلى حالة التطور والغنى والثراء، فما أكثر الحضارات التي سادت ثم بادت!

ولعل لجوء بعض النخب إلى الانكفاء على الذات والتقوقع، بداعي المحافظة على الأصالة والتراث ،قد أدى إلى انحسار هذه الترجمة، رغم أن هذا الفريق لم يقدم مشاريع وإنجازات ثقافية وإبداعية غير محاولتهم التشبث بثقافة ماضوية على المجتمع العربي المعاصر وبات النقد العربي ميدانا من ميادين الثقافة العربية التي أصابها التجديد والتحديث، الأمر الذي أدى إلى خلق هوة عميقة بين النقد العربي الحديث والنقد العربي القديم على مستوى المصطلح والمنهجية والبنية الفكرية، غير أن ذلك لم يمنع من قيام محاولات جادة لقراءة التراث النقدي العربي القديم من منظور معاصر، وفي

ضوء تطور الفكر النقدي الحديث الذي راح يفد من النقد الأدبي الغربي، لأن التراث لابد من تطعيمه وتلقيحه بعناصر الجدة التي تتيح له أن يتجدد ويتطور، من خلال تنقيحه وتمييزه وتصفيته من الشوائب، وفتح قنوات التواصل والانفتاح على الاتجاهات والمناهج النقدية الغربية، وتفاعله معها، واستيعابه لنظرياته وأفكاره ومصطلحاته استيعابا واعيا ورصينا، بمنأى عن الفوضى والانبهار والارتجالية والاعتباطية، وهي عملية على قدر كبير من الأهمية والخطورة، تقوم أساسا على المعرفة العميقة بالفكر النقدي الغربي، والإحاطة بالمعطيات والخلفيات التي أنتجته، وهو دور يضطلع به نقاد نزهاء أكفاء ومثقفون وعاة، يعملون على تأصيل الفكر الغربي ودمجه وتكييفه مع النقد الأدبي العربي، فإذا استوفى النقد الأدبي العربي هذه المقومات والشروط، امكنه الاضطلاع بمهمته المنوطة به، والقيام بدوره في تحقيق النهضة الثقافية المنشودة" فالاطلاع الوافي والفهم الصحيح للفكر النقدي الأجنبي هما أساس كل استيعاب جدي رصين لذلك الفكر، وعلى سلامة هذه الحلقة تتوقف سلامة الحلقات اللاحقة من ذلك الاستيعاب"[16]، أما عملية النقل من خلال الترجمة، فيتطلب الدقة في نقل النصوص، وصياغة المصطلحات النقدية وضبط الأدوات الخاصة بالمنهج النقدي الذي تنضوي تحته تلك النصوص، سيما أن هذه المصطلحات تشكل منظومة أو جهازا مصطلحيا متكاملا، باعتبار أن هذه المنظومة، ستصير من خلال عملية الترجمة مكونا من مكونات النقد الأدبي العربي، ذلك أن المترجم هو ناقل أو وسيط، يحاول جاهدا إرساء أصول مذهب جديد له مصطلحاته وأدواته ومقوماته وسياقاته وأنساقه الثقافية والتاريخية والاجتماعية، ومن ثم تأتي أهمية إسناد هذه المهمة إلى كفاءات ونماذج ذات مستوى رفيع من العلم والمعرفة وسعة في الثقافة ودراية باللغة، والنقد الأدبي، وخبرة بلغتي المصدر والهدف، حتى يتسنى لهذه الكفاءات نقل الأفكار والمصطلحات النقدية الأجنبية إلى العربية بشكل مضبوط، وحتى تكون لنا القدرة على هضم واستيعاب المناهج النقدية بوعي وبصيرة، بعيدا عن الارتجال والانطباعية والجزافية التي يمكن "أن تسهم في زيادة تلك البلبلة الفكرية والمصطلحية التي طالما شكونا منها"[17]،من خلال اللجوء إلى تعريب الكتب والمراجع الكبرى التي تمثل هذه الاتجاهات السائدة، وهو الأمر الذي من شأنه أن يتيح للقارئ العربي فرصة الإلمام بأنساق وسياقات هذه المذاهب والتيارات الفكرية والنقدية، دون إغفال دور المؤلفين العرب في عرض الفكر النقدي الغربي وتقريبه للقراء والطلبة الباحثين، ومن ثم فالترجمة لا تلغي دور التأليف في استيعاب الفكر الأجنبي، بل هما شكلان متكاملان لاستيعاب ذلك الفكر[18]، وهو الأمر الذي يقتضي قيام حوار بين الفكر النقدي الأجنبي الوافد إلى البيئة النقدية العربية، وبين الفكر المحلي الذي يسود هذه

البيئة، من أجل إزالة بعض المعوقات والحواجز التي يمكن أن تحول دون تفاعل الطرفين، على نحو ما شهده النقد الأدبي العربي الحديث من معارك نقدية وخصومات أدبية، بعيدا عن الصراعات الأيديولوجية والخلافات الشخصية، لأن الحوار العلمي الرصين وحده من يزيل الرواسب والشوائب التي يمكن أن توسع الهوة بين الاتجاهات والمذاهب النقدية المختلفة، ثم إن كل دعوة إلى الانغلاق ورفض ما ينتجه الآخر، لا يمكن أن تكون حلا لما يعاني منه النقد العربي الحديث والمعاصر من فوضى واضطراب، بل تزيد في جموده وركوده، لأن العصر هو عصر التواصل والتبادل الثقافي والانفجار المعرفي، بالإضافة إلى مراعاة الجانب التطبيقي للفكر النقدي الأجنبي، بغية استيعابه، من خلال قراءة الإبداع الأدبي العربي ونقده في ضوء الفكر النقدي الأجنبي، لأن الجانب التطبيقي هو المحك الذي يكشف " صلاحية أي فكر نقدي وجدواه"[19]

الترجمة الأدبية وعلاقتها بالمناهج النقدية:

في هذا السياق، لابد من إدراك أن كل منهج نقدي أجنبي هو جزء من تاريخ النقد الأدبي للثقافة التي ينتمي إليها، ومن هنا وجب الوعي بالسياق التاريخي النقدي لكل اتجاه نقدي، باعتبار أن الفكر هو جزء من السياق الثقافي الاجتماعي للبيئة التي أنبتته، وهي مرتبطة ارتباطا عضويا بآداب هذه الأمم التي أنتجتها، وعملت على تطويرها واستحداث أدواتها النقدية، لتساير تطور هذه الآداب، وقد طرحت هذه المعادلة إشكالية صلاحية هذه المناهج النقدية للتعامل مع الأدب العربي ودراسته، وفي هذا السياق ذهب فريق من الباحثين والنقاد والدارسين إلى أن "هذه المناهج النقدية الأجنبية لا تصلح لأن تطبق إلا على الآداب التي ارتبطت بها تاريخيا، ولا تصلح للتطبيق على الآداب كلها وفي ضوء الدراسات النقدية التطبيقية التي قام بها عدد من النقاد والباحثين العرب، باستخدام بعض المناهج النقدية الغربية، كالبنيوية والسيميائية والتفكيكية تبين أن هذه المناهج النقدية قادرة وصالحة لدراسة الأدب العربي شريطة التحكم في آلياتها والوعي بأسسها النظرية والفلسفية لأن المنهج النقدي ليس مجرد أدوات وإجراءات نقدية جاهزة النقدية الغربية، للتحكم في أدواتها وإجراءاتها ، وتطبيقها بطريقة مرنة لا آلية في دراسة الأدب العربي بصورة واعية، فإذا تحقق ذلك أمكن الإسهام في تطوير وإغناء النقد الأدبي العربي، في حين أن الإخلال بهذه المقومات والشروط يؤدي إلى إحداث فوضى فكرية ومنهجية ومصطلحية، ذلك أن الترجمة عملية دقيقة لها علاقة متينة بالكتابة، هذه الأخيرة التي هي مرآة تعكس وتجسد لنا كل ما هو متميز ومتفرد ونوعي من أنماط التفكير وأساليب الإبداع وطرائق التعبير، وحتى نضمن تلقي الأدب العربي في العالم بصورة إيجابية، وجب متابعة ما يترجم إلى

اللغات الأجنبية من أعمال وآثار أدبية عربية متابعة واعية ودقيقة، ويتم ذلك على مستوى "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم"، بالإضافة إلى الاهتمام بالمترجمين الأجانب الذين يحملون على كاهلهم مسؤولية نقل الإبداع الذي تنبته الساحة العربية إلى لغاتهم، وهو أمر على قدر كبير من الأهمية والخطورة، ينبغي مراعاته والحرص عليه، بتحفيز القائمين عليه وتزويدهم بالكتب والمراجع الأدبية والنقدية العربية التي تتيح لهم الاطلاع على كل جديد في الثقافة العربية وفي الأدب العربي، وكذا تقديم التسهيلات للمترجمين الأجانب من أجل الحصول على حقوق الترجمة، إلى جانب فتح المنابر والقنوات التي تسمح لهؤلاء بالمشاركة في الملتقيات والمؤتمرات الثقافية والأدبية، لإثرائها بمداخلاتهم وأبحاثهم، واستحداث جوائز تحفيزية للمترجمين "وهذا أسلوب ناجع وفعال لتشجيع المترجمين الأجانب"[20]،ولا مانع من قيام دور نشر عربية بنشر ترجمات لأعمال من الأدب العربي باللغات الأجنبية، على نحو ما نجده في التجربة الصينية والسوفياتية حيث عمدت كل منهما إلى استحداث دور نشر باللغات الأجنبية تتولى نشر ترجمات لإبداعاتهم الأدبية.

ومن الخواص التعبيرية للترجمة الأدبية أنها ترتكز في نظر"بيتر نيومارك" على نظرية لغوية وهذا على خلاف ما ذهب إليه "جون روبرت فيرث" الذي اعتبر أن الترجمة ممارسة في اللسانيات التطبيقية، وقد حاول تطوير نموذج لساني يأخذ بعين الاعتبار الوظيفة الاجتماعية للغة، إلى جانب البنية اللغوية والنظام اللغوي، كونهما مستويين مختلفين ومتوازيين للبحث في النظام اللغوي[21] ولعل الخاصية التعبيرية، هي التي تحدد أسلوب وطريقة الترجمة بناء على غرض النصوص، والوظيفة التي عليها، كما أن "اللغة الناظمة للأجناس الأدبية بمختلف أشكالها وشتى أنماطها أكثر صعوبة والتباسا، إذ تعتمد على خطاب مجازي واستعاري وتخييلي"[22] مؤلفة نوعا من حوار الضفاف بين ثقافتين، يستلزم تبنيه داخل الثقافة المستقبلة واللجوء إلى أوجه الاختلاف والاتفاق قصد مقارنة الانزياحات والمطابقات ومعرفة ما يضيع كل مرة من معنى الأصل، وما يعدل أو يضاف من أجل الوصول إلى فهم يعادل فهم لغة الأصل، إلى جانب القيمة الجمالية للترجمة الأدبية التي ينبغي توظيفها في فهم وتأويل العمل الأدبي، وتتجلى القيمة الجمالية في الشرط اللغوي الذي يحقق معاني روحية بعيدة، وكلما ازدادت الرموز غموضا وازدادت المعاني بعدا كان العمل الأدبي على قدر من الجودة والإثارة، فهذه المعاني والرموز وثيقة الصلة بالعوالم الغيبية والسحرية والأسطورية الخارقة "فإذا كانت الترجمة يفترض فيها أنها تقدم إبداعا أصيلا خاضعا ليس فقط لأسس وظيفية أو لغوية صرف وإنما لأسس جمالية."[23]

وتشكل الاستعارة رابطا بين الوظيفة التعبيرية والوظيفة الجمالية، من خلال الصور التي تربط اللغة مع" أربعة من الأحاسيس الخمسة، بإنتاج إشارات الرائحة (زهرة – سمك) والذوق(الطعام)، واللمس(فروة الجلد)، والبصر (جميع الصور)، وكذلك الصوت (طير– جرس)"[24]، ومن ثم ينبغي مراعاة المجاز اللغوي خلال عملية الترجمة، بوصفها إحدى المكونات التعبيرية والجمالية، كما ينبغي للترجمة الأدبية أن تعنى وتركز على حمل أصالة الإبداع الذي لا تحكمه مقاييس وظيفية وتعبيرية فحسب، ولكن تحكمه أيضا مقاييس جمالية، وقد أشار"رومان جكبسون" إلى ذلك من خلال مخططه التواصلي الذي ينبني على عوامل تتصل بالمرسل وثقافته، والمتلقي ومستواه، والنص وملابساته، والمترجم بصفته متلقيا يفسر ويؤول ويترجم، داخل اللغة وخارجها، انطلاقا من نظامه اللغوي المتغير عبر الزمان والمكان والمقام التواصلي، وتبدو عملية التواصل سهلة، لكنها تصير معقدة ودقيقة بمجرد دخول المترجم ووساطته (باث + مترجم + متلق + مؤول + باث + متلق)"[25]، بينما ينفي "جاك دريدا" "فكرة تحديد النص الأدبي بالوجود الفيزيائي، وإنما بالحضور الكثيف لكل مراحله الممكنة"[26]، لذلك لا يمكن أن تقتصر ترجمة الأدب على الجانب اللغوي والبعد اللساني فحسب، ولكن يجب أن تشمل البعدين الاجتماعي والثقافي، ويرى المهتمون بشأن الترجمة الأدبية أن المترجم الأدبي يعيد كتابة النص الأصلي، ومن ثم فهو مؤهل لأن يكون مؤلفا للنص المترجم، وهي عملية إعادة الإنتاج في الترجمة، التي تصبح عملية كتابة أخرى "فالنصوص في حقيقة الأمر سوى ترجمات للترجمة، وأن الإبداع من الدرجة الثانية (الترجمة) يدخل في إطار الإبداع الخالص"[27]، لذلك أكدت الدراسات النظرية والتطبيقية على ضرورة مراعاة الترجمة الأدبية للبعد الثقافي في عملية الترجمة، وخاصة المدرسة الألمانية، بحكم أن الترجمة هي عملية تقع بين ثقافتين مختلفتين لا بين لغتين، وهو ما يقتضي من المترجم أن يحيط ببنى الكلام ونمط معيشتها وأساليب تفكيرها وعاداتها، وعليه فإن حركة المثاقفة هي عملية انفتاح على الآخر، وفي الوقت نفسه تفهم للذات ووعي بها.

MOKARABAT

خاتمة

لقد أسهمت الترجمة عامة والترجمة الأدبية على وجه الخصوص في تحديث النقد الأدبي العربي الحديث وتجديده وتطويره، من خلال استيعاب مناهج النقد الغربية استيعابا رصينا وواعيا، بعيدا عن التقليد والاجترار والارتجالية.. وما كان للترجمة الأدبية أن تحقق هذه الأهداف، وتسهم في إثراء الأدب العربي وإغناء الثقافة العربية، من خلال ما ضخته في أوصالها من دماء جديدة ، وما أضفته عليها من نضج ومسحة فنية ، سواء على مستوى المنهج والإجراء ، أو على مستوى المصطلح والرؤية، لولا أنها اتكأت على فهم الفكر النقدي والأدبي الغربي، والإلمام بسياقاته التاريخية، وأصوله الفلسفية، وأطره النظرية، وأنساقه الاجتماعية والثقافية، واتجاهاته الفكرية والايديولوجية، وتكييفها مع الهوية العربية وخصوصياتها الثقافية، والحرص على تأصيل الحمولة التي تتضمنها اللغة الأصل، وتمحيصها وتنقيحها من الشوائب والترسبات السياسية والايديولوجية الهدامة والمغرضة والشادة.

MOKARABAT

المراجع

1. عبده عبود، هجرة النصوص، دراسات في الترجمة الأدبية والتبادل الثقافي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط2، 1995، ص 219.
2. المرجع نفسه، ص 220.
3. عبد اللطيف البازي، صورة المتلقي في القصيدة العربية المعاصرة، مجلة آفاق، الرباط، ع2،1991، ص 85.
4. البشير محمد الحاجي، الإنتاج الشعري والتقبل، مجلة كتابات معاصرة، بيروت، لبنان، ع20، 1994، ص 17.
5. محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، مصر، ط 1، 2003، ص 7.
6. عبده عبود، هجرة النصوص، ص 10.
7. المرجع نفسه، ص 12.
8. محمد عناني، الترجمة الأدبية بين النظرية والتطبيق، ص 11.
9. المرجع نفسه، ص 19.
10. عبده عبود، هجرة النصوص، ص 22.
11. فرانسواز ويلمارث، المترجم الأدبي، ترجمة ماهر البعلبكي، بيروت، لبنان، ط2، 1990، ص 236-237.
12. عيسى بريهمات، حدود الترجمة الأدبية، مجلة المترجم، دار الغرب للطباعة والنشر، الجزائر، ع8، 2003، ص 66-67.
13. المرجع نفسه، ص 65.
14. شحادة الخوري، الترجمة قديما وحديثا، دار المعارف، تونس، ط2، 1988، ص 65.
15. المرجع نفسه، ص 66.
16. تامر فاضل، اللغة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط3، 1994، ص56.
17. محمد بن عبد الله آل عبد اللطيف، الترجمة بين الشكل والتفسير، مجلة جامعة الملك سعود، اللغات والترجمة، الرياض السعودية، ع16، 2004، ص 74-75

18. ينظر: عبده عبود، هجرة النصوص، ص 226.
19. حسام الدين كريم زكي، اللغة والثقافة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط5،2001، ص 32.
20. عبده عبود، هجرة النصوص، ص 71.
21. ينظر: محمد بن عبد الله آل عبد اللطيف، الترجمة بين الشكل والتفسير، ص 74-75.
22. بيتر نيومارك، الجامع في الترجمة، ترجمة حسن غزالة، دمشق، سوريا، د.ط، ص 49-50.
23. عيسى بريهمات، حدود الترجمة الأدبية، ص 66-67.
24. بيتر نيو مارك، الجامع في الترجمة، ص54.
25. عيسى بريهمات، حدود الترجمة الأدبية، ص 77.
26. جون بير قارنيي، عولمة الثقافة، ترجمة عبد الجليل الأزدي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2003، ص 42.
27. حسام الدين كريم زكي، اللغة والثقافة، ص 33.

MOKARABAT

مقاربات رابط مقال الترجمة الادبية https://www.asjp.cerist.dz/en/downArticle/321/6/2/133021

جامعة الجلفة
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية و آدابها

مقاربات

مجلة دولية أدبية، علمية، ثقافية، محكمة

المجلد السادس06
العدد 02
15 جويلية 2020

الترقيم الدولي المعياري للمجلة (ر.د.م.د):I.S.S.N.2335-1756
رقم الايداع القانوني لدى المكتبة الوطنية الجزائرية :4949-2013